تخيلات معاصرة

ضياء العزاوي

يحار المتابع لأعمال عمار داود (1957) خلال السنوات الخمسة الماضية أين يحط اصبع رهانه على ما يشغله، هو الذي درس في معهد الفنون في بغداد تلميذا لشاكر حسن ورافع الناصري، وعند اكماله الدراسة، انشغل لبعض الوقت مع أفراد من جيله في مجلة للأطفال، وسرعان ما أصبح وهو في طريقه الى بولندا للدراسة كل ذلك من الماضي. في بولندا تعرف على الكثير مما لم توفره له بغداد من معارف وخبرات، وبعد بضعة سنوات فيها، حمل تلك الخبرة واستقر في بلد عرف بالتصميم الصناعي والمعماري (خاصية كل الدول الاسكندنافية) ولم يعرف عنه ميدانا فعالا للفن التشكيلي . لعل استقراره في السويد بفضاء له تلك المواصفات قد قاده الى الميل لنوع من البوح الداخلي وانشغال روحي بغنائيته المتنوعة مع متابعة ثقافية وفنية لتاريخ الفن العالمي ... هل هذا بعض من القناعة ليخفف عن روحه عتمة تلك البلاد..؟ مارس تقنية الحفر على اللينو لبضعة سنوات وغادرها بعد أن قادته هذه التجربة الى الجائزة الأولى في بينالة الأعمال الطباعية في النرويج عام 1989، أعمال إبداعية اعتمدت على تقشف لوني فيه الكثير من قدسية العتمة ورهافة خطوط بارعة تخفي صوت صاف، يتبدل بمقدار ما يجد في تكوين مخيلته مساحة للانشغال، وعلى الرغم من تشابك تلك الخطوط يبقى فيها ما هو منفرد وقادر على التميّز بما يمنحه من فسحة للتنوع الباهر. ظل عمار يشتغل بصمت وبنوع من التساؤلات التي لا تطرحه الطباعة، جامعا في مخيلته موروثات حضارية ويومية متنوعة علها تبقي شعلة ما تعرّف عليه في وارشو ألا وهو الاهتمام (بكتاب الفنان)، تجربة فيها الكثير من الفتنة وطاقة التعبير ما يجعلها رغم محدودية انتشارها عربيا وعالميا، صوت إبداعي يحتاج للكثير من الانضباطية وعلى مخيلة لا تبالي بالجمع بين المتناقضات موضوعا، تقنية او أسلوبا. تاريخه في هذا الابداع يجعله وحده على الأغلب الاكثر تميزا في التجربة عراقيا وعربيا، تميزا فيما خلقه من فضاءات رحبة وقدرة على إخضاع ابداعه الى ما يستجد من تبدلات فنية والى مواجهة تفكك وحداته الفنية لكي تنتهي

بإيقونات معاصرة غاية في الغنى يحار تصنيفها فنيا. عام 2010 أقام عمار معرضا شخصيا في كالري كريم (عمان)، كان ذلك لأول مرة يختبر حضوره بعد غياب طويل عراقيا او عربيا، وسرعان ما حرضه هذا المعرض ليكون له تواجده الواضح والمتميز عبر مشاركات جماعية أو معارض شخصية. تتنوع تجربته في الرسم بين تعارضات متنوعة غاية في الاختلاف، تركيبات زخرفية متداخلة بعضها مرجعيات من الفن الشعبي او الإسلامي والبعض الاخر استعارات من وحدات هندسية معاصرة، وعلى الضد من كل ذلك، هناك أعمال تشخيصية مقتصدة في الملامح تعتمد على الخط حينا وعلى علاقة مع فضاءات هندسية حينا آخر، عبرها تتشكل وحدات معمارية او نباتية متخيلة تذكرني بما نجده في كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لزكريا القزويني) من أوصاف أو تعريفات، هي جغرافية كونتها مخيلة فيها الكثير من الوهم وتعريف بالمحسوسات المرتبطة بالحياة، وكذا خلق عمار عالمه المتخيل تسبح فيه مخلوقات وهمية في بعض منها إشارة للحاضر مزينة بجماليات لونية مدهشة وما بينها تتوزع في فضاءاته مدن غير مكتملة الملامح، بقايا من ماض تعرفه المخطوطات العربية المصورة، الموروث الجمالي الذي لا زال يدهش عمار منذ فترة ليست بالطويلة. في تجاربه الأخيرة سعى عمار للانفلات من سطح اللوحة نحو أشكال تجمع بين مخيلة الرسام والنحات، وحدات تتكون بفعل تجميع مما حوله من مواد جاهزة مع إضافات نحتية مشغولة بإتقان ليشكل ذلك تضاد لوني ومادي يشغل العين بفتنته... الجمع بين التضادات خاصية تميز فيها عمار بين فناني جيله، ولأنه يمتلك أدوات قادرة على تفكيكها وبالشكل الذي يبتغيه يجعله اسما يفرض متابعته عن قرب.

لندن. نوفمبر 2018